

بناء علم اللاهوت الكتابي

التركيب التزامني للعهد القديم

الدرس الثاني

نص الدرس

 **thirdmill**

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائلٍ إعلاميةٍ متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنْتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

- I. المقدمة
- II. التوجه
 - أ. التزامني
 - ب. التركيب
 1. الرفض
 2. التأكيد
 - ج. المثال
- III. المعلومات التاريخية
 - أ. الشعر
 1. عالمين
 2. تمييز المعلومات
 - ب. القصص الكتابية
 1. عالمين
 2. تمييز المعلومات
- IV. البنى التركيبية
 - أ. المصادر المتنوعة
 1. الإعلانات الكتابية
 2. الإعلانات من خارج لكتاب المقدس
 - ب. المستويات المتنوعة
 1. الأساسي
 2. المتوسط
 3. المعقد
- V. الخاتمة

بناء علم اللاهوت الكتابي

الدرس الثاني

التركيب التزامني للعهد القديم

المقدمة

اشترت مؤخراً مكتباً كان بحاجة إلى تركيب. وما أن فتحت الصندوق حتى انهارت أجزاء المكتب على الأرض. لقد كان هناك الكثير من القطع حتى كان بإمكانني القول إن تركيبها سيستغرق وقتاً طويلاً. لكن وجدت بين القطع كتيب التعليمات. كانت أول صفحتين مخصصتين للخطوة الأولى. أما الصفحات التالية فكانت تتعلق بالخطوة الثانية. ثم تلتها الخطوة الثالثة. وعندما قرأت الكتيب شعرت بالراحة لمعرفة أن عملية تركيب المكتب الطويلة كانت موزعة إلى خطوات منفصلة. في الواقع، ينطبق الشيء ذاته بعدة طرق، عندما نحاول فهم التاريخ الطويل لأسفار العهد القديم المقدسة. حيث يوجد الكثير من المعلومات عن أعمال وكلمات الله، الناس والأماكن، بحيث تبدو المهمة صعبة. لكن إذا أخذنا الاقترب التزامني، إذا قسمنا تاريخه إلى خطوات منفصلة وركزنا على كل خطوة بينما نركبه سويةً، سنجد أن المهمة أكثر سهولة وفائدة بكثير.

هذا هو الدرس الثاني في سلسلتنا، بناء علم اللاهوت الكتابي. وقد دعونا هذا الدرس "التركيب التزامني للعهد القديم". سنرى في هذا الدرس كيف استكشف اللاهوتيون الكتابيون ما أعلنه الله لشعبه خطوة بخطوة في أوقات معينة في تاريخ العهد القديم.

رأينا في درسنا السابق، أن المسيحيين استخدموا تاريخياً ثلاث استراتيجيات أساسية لفهم الأسفار المقدسة: التحليل الأدبي، أي النظر إلى الكتاب المقدس كوصف أدبي مُصمَّم لنقل معايير محدّدة؛ التحليل الموضوعي، أي النظر إلى الكتاب المقدس كمرآة تعكس مواضيعنا وأسئلتنا المعاصرة أو التقليدية؛ والتحليل التاريخي، أي النظر إلى الكتاب المقدس كنافذة على الأحداث التاريخية التي يسجلها. ورأينا أيضاً أن علم اللاهوت الكتابي يركّز بشكل أساسي على التحليل التاريخي للأسفار المقدسة، ناظراً بصورة خاصة إلى الطرق التي تدخل فيها الله في الأحداث التاريخية المدوّنة في الكتاب المقدس.

لهذا السبب، قلنا إن "علم اللاهوت الكتابي هو التأمل اللاهوتي المُستمد من التحليل التاريخي لأعمال الله المذكورة في الكتاب المقدس". يركّز علم اللاهوت الكتابي على السجلات الكتابية لأعمال الله، ويستخلص استنتاجات للاهوت المسيحي من تلك الأحداث. دعونا ننقل إلى درسنا الحالي بعد هذه المراجعة.

سننظر في هذا الدرس عن التركيب التزامني للعهد القديم، إلى ثلاث مسائل رئيسية. أولاً، سنكتسب توجهاً أساسياً نحو ماهية "التركيب التزامني". ثانياً، سننظر إلى الطرق التي تنقل فيها فقرات العهد القديم المعلومات التاريخية المستخدمة في التركيب التزامني. وثالثاً، سنركز على البنى اللاهوتية التركيبية المكتشفة من خلال التركيب التزامني للمعلومات التاريخية في العهد القديم. دعونا نبدأ بتوجهٍ أساسي نحو موضوعنا.

التوجه

حتى نفهم ما نعني "بالتركيب التزامني"، سننظر إلى ثلاث مسائل. أولاً، سنعرّف مصطلح "التزامني". ثانياً سننتقل إلى مصطلح "التركيب". وثالثاً، سنوضح ونجيز ما في ذهننا بمثال من الأسفار المقدسة. فلنبدأ بمعنى مصطلح "التزامني".

التزامني

تُشتق كلمة "التزامني" من كلمتين يونانيتين: حرف الجر "sun" الذي يعني "مع" أو "معاً"، والاسم "chronos" الذي يعني "زمن". وعندما تُطبّق كلمة التزامني على الأحداث التاريخية، فإنها تصف الأحداث التي وقعت "معاً في الزمن"، أو "في نفس الوقت". وسنستخدم المصطلح "تزامني" للإشارة إلى الطريقة التي كثيراً ما يستكشف بها اللاهوتيون الكتابيون مجموعات من الأحداث التي حدثت في ذلك الوقت في تاريخ العهد القديم.

حتى نوضح هذه الفكرة، فكر بالطريقة التي يروي بها مخرجو الأفلام قصصهم. حيث تنقل معظم الأفلام الشعبية مجرى القصة من البداية إلى النهاية. وهي تصف كيف أن حدثاً يؤدي إلى آخر، وآخر، وهكذا. ومع ذلك، ورغم أن الفيلم هو واحد، أي وحدة كاملة، فإنه مجزأ أيضاً إلى أجزاء أصغر تسمى المشاهد. ويخبر كل مشهد عن جزءٍ من القصة الكبيرة. ويمثل كل مشهد، بهذا المعنى، لحظة تزامنية في الفيلم، أي فترة من الزمن في الفيلم.

تتخذ الدراسة التزامنية للعهد القديم اقتراباً مشابهاً. حيث يركز اللاهوتيون الكتابيون انتباههم، في التركيب التزامني، على فترات هامة من الزمن في العهد القديم، كما لو أنها مشاهد في فيلم، بدلاً من تركيزهم على مجرى تاريخها كله. ومع ذلك، مهمٌ أن ندرك أنه مثل المشاهد في فيلم، يمكن أن

تركز المناهج التزامنية على فترات مختلفة الطول. ويركز اللاهوتيون الكتابيون أحياناً على لحظات تاريخية قصيرة نسبياً، إلا أنهم يهتمون بفترات زمنية أطول نسبياً في أوقات أخرى. ونفعل نحن الشيء ذاته في الحياة العادية. حيث نتحدث أحياناً عن أمور تحدث في نفس الوقت، مع أنها حدثت في الواقع على امتداد فترة من الزمن. فقد أقول، على سبيل المثال، "تحدثت مطولاً مع صديقي منذ لحظة"، مشيراً إلى محادثة طويلة، على أنها حدث واحد. ونتحدث، في أوقات أخرى، عن وحدات زمنية أطول كما لو أن كل شيء حدث في نفس الوقت. على سبيل المثال، يمكن أن نلخص نشاطات أسبوع كامل بالقول، "قضيت الأسبوع الماضي في الجبال"، أو نلخص سنة كاملة بالقول، "ذهبت إلى المدرسة في العام الماضي".

يمارس اللاهوتيون الكتابيون نفس النوع من المرونة الزمنية عندما يقسمون تاريخ العهد القديم إلى وحدات تزامنية. فهم يركزوا أحياناً على إطارات زمنية قصيرة نسبياً، بينما يركزوا في أوقات أخرى على فترات أطول من التاريخ. وإن لم يكن لدينا سوى جزء من الثانية في الحسبان، يمر الوقت في كل فترة تزامنية من التاريخ، ويؤدي مرور الزمن هذا إلى تغييرات تاريخية. وتكون هذه التغييرات ثانوية أحياناً، لكنها قد تكون هامة في أوقات أخرى. لكن أياً كانت التغييرات التي حدثت، تنتظر الاقتربات التزامنية للعهد القديم إلى الفترة التي تتناولها ككل. وتركز بصورة رئيسية على المعايير اللاهوتية التي تأسست في نهاية الوقت الذي تتناوله. على سبيل المثال، في القصة القصيرة نسبياً لتقدمة إبراهيم لإسحق كذبيحة في تكوين 22، حدثت أمور كثيرة. لكن يسأل اللاهوتيون الكتابيون "ما هي وجهات النظر اللاهوتية التي ميّزت هذا الجزء من حياة إبراهيم؟" ويتعامل اللاهوتيون الكتابيون مع فترات زمنية أطول أيضاً، مثل قصة حياة إبراهيم في تكوين 11-25- أي الوقت الذي امتد حوالي مئة وخمسة وسبعين سنة. وحتى في فترة زمنية طويلة كهذه، ما زالوا يسألون أسئلة مثل: "ما هي وجهات النظر اللاهوتية التي ظهرت في حياة إبراهيم ككل؟"

في الواقع، يتعامل اللاهوتيون الكتابيون أحياناً مع كل العهد القديم كوحدة تزامنية، ويسألون: "ماذا عمل الله وقال في أيام العهد القديم؟"

بعد أن نظرنا إلى تعريف "التزامني"، علينا أن نتوجه إلى المصطلح الثاني، أي "التركيب".

التركيب

إن مفهوم "التركيب" ليس صعب الفهم. وكثيراً ما نستخدمه في حياتنا اليومية. وهو يعني في الأساس، ببساطة، دمج العناصر المختلفة لشيء ما في وحدة كاملة.

تخيل، على سبيل المثال، أنك ذاهب إلى بيت صديق لتناول العشاء. أنت تأكل هذا وذاك. تسمع أحدهم يتكلم وآخر يجيب. يقول أحدهم نكتة والمجموعة تضحك. يأتي أحدهم متأخراً، ويُغادر آخر باكراً. وتحدث أمور كثيرة. وتخيّل الآن أنك في اليوم التالي تخبر صديقاً عما حدث على العشاء. فمن غير المحتمل، أن تحاول ببساطة، تكرار كل ما حدث. بدلاً من ذلك، سترغب، أو تستخلص المعنى من اللقاء كله.

وهذا ما نفعله، إلى حد بعيد، عندما ننظر إلى الأسفار المقدسة بطريقة التركيب التزامني. فنحن نصف الطرق التي تتناسب فيها عناصر مختلفة من اللاهوت، أُعلنت في فترة تاريخية محددة، معاً في بنية منطقية متماسكة.

وحتى ندرك كيف يتضمن التركيب التزامني تقييم البنية المنطقية للاهوت العهد القديم في وقت محدد، سننظر إلى مسألتين. أولاً، سننظر إلى الرفض الشائع للميزة المنطقية للعهد القديم. وثانياً، سنقدّم تأكيداً لتمامه المنطقي. فلنبدأ بالرفض الشائع لميزة العهد القديم المنطقية.

الرفض

ميّز العديد من علماء النقد، في منتصف القرن العشرين، بين علم اللاهوت الكتابي وعلم اللاهوت النظامي، بالإشارة إلى دور المنطق في كل فرع من فروع الدراسة. وسهلّ أن نرى أن للمنطق دوراً حيوياً في علم اللاهوت النظامي التقليدي. لكن جادل اللاهوتيون الانتقاديون أنه يجب ألا يلعب المنطق دوراً رئيسياً في علم اللاهوت الكتابي.

ورغم أن تعقيدات هذه المناقشات تذهب أبعد من هذا الدرس، ما زال بإمكاننا تلخيص موقفهم بطريقة مفيدة. حيث آمن لاهوتيو النقد، في الجوهر، أن المنطق هو ميزة أولية لما دعوه "بالعقلية اليونانية". لكنه كان غريباً بالنسبة "للعقلية العبرية" بشكل نسبي. وجادل هؤلاء اللاهوتيين، مستندين على عدد من التقييمات اللغوية والثقافية، بأن اليونانيين ركّزوا على التجريد والترتيب المنطقي، مثل علم اللاهوت النظامي إلى حد بعيد. بينما اقترحوا في المقابل، بأن العقلية العبرية نظرت إلى كل شيء بالنسبة لعلاقتها بالديناميكيات التاريخية. ولم يركّز العهد القديم، حسب هذه النظرة، على الأنظمة المنطقية، أو العلاقات اللاهوتية بين المعتقدات. ولهذا السبب، إن تركيب لاهوت العهد القديم، يعني قراءة خاطئة للكتاب المقدس العبري، ووضعه بقوة في إطار يوناني.

التأكيد

وبالتباين مع هذا الرفض، يرتكز تأكيد الميزة المنطقية للعهد القديم على أساسين على الأقل. أولاً، رفضت الدراسات الأخيرة إلى حد كبير، المصادقة على أنواع التناقضات بين العقلية العبرية واليونانية التي تم اقتراحها مرةً من قِبل العديد من اللاهوتيين الكتابيين. وكانت هذه العقلية مختلفة في عدة نواحٍ، لكنها كانت مشابهة لبعضها البعض أيضاً. ثانياً، يُظهر لاهوت العهد القديم اهتماماً جوهرياً بالفكرة المنطقية والعقلانية. فلا تخلوا أي طريقة جوهرية للنظر إلى الحياة من التفكير المنطقي الحريص. وبلا شك، سيبقى الكثير من الأمور المُعلنة في العهد القديم، غامض بالنسبة للبشر، بما أن أفكار الله أبعد من أفكارنا بكثير. ومع ذلك، لا تُلغي هذه الحقيقة قيمة التفكير بما أُعلن لنا بشكل منطقي. وليس السؤال إذا كان لاهوت العهد القديم يتضمن المنطق، إنما السؤال هو، كيف فعل ذلك. صحيح أن لاهوت العهد القديم لا يستخدم معايير التقاليد الفلسفية الغربية الرسمية التي أثرت بعمق في علم اللاهوت النظامي التقليدي. على سبيل المثال، يستخدم العهد القديم بعض المصطلحات التقنية الثابتة؛ ويُعبّر عن لاهوته بأساليب أدبية متنوعة؛ وقد شدّد مؤلفو العهد القديم المختلفون على جوانب مختلفة لإيمانهم؛ ولا يقَدّم العهد القديم في أي مكان نظاماً منطقياً شاملاً للاهوت. ورغم ذلك، لم تكن إعلانات الله في الأسفار المقدسة عشوائية، مفككة أو متناقضة. وكما سنرى لاحقاً في هذا الدرس، لم تعطِ إعلانات الله في الكتاب المقدس شعبه بصيرة في أحداث معينة فقط، بل قادتهم أيضاً نحو طرق منطقية مركبة في الفهم والسلوك والشعور به، بأنفسهم وبقية الخليقة. بعد أن بحثنا في هذه الفكرة الأساسية للتركيب التزامني، سيساعدنا أن نرى مثلاً لهذا الاقتراب في الكتاب المقدس نفسه.

المثال

عندما ننظر إلى الأسفار المقدسة، نجد أن الشخصيات والكتّاب غالباً ما قسّموا العهد القديم إلى فترات تاريخية مختلفة وركّبوا اللاهوت الذي وجدوه هناك. وقد فعلوا ذلك عدة مرات، لكن من أجل أهدافنا سنشير ببساطة إلى مقطع نموذجي واحد. اصغ إلى ما كتبه بولس في رومية 5: 12-14:

بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ. فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتْ الْخَطِيئَةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيئَةَ لَا تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. لَكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الْآتِي. (رومية 5: 12-14)

تعامل بولس، في هذه الآيات، مع الوقت الممتد من سقوط آدم في الخطية إلى إعطاء الشريعة على جبل سيناء كوحدة تزامنية واحدة، أي كفترة منفردة في التاريخ. وكان همه الأساسي في هذه الفقرة، أن يبرهن كيف أنذرت الآثار البعيدة المدى لخطية آدم بالآثار البعيدة المدى لطاعة المسيح. وحتى يبين هذه النقطة، ركّب بولس العديد من الميزات اللاهوتية للوقت بين آدم وموسى. أشار بولس، في الآية الثانية عشر، أنه "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ". ولمّح هنا إلى تكوين 3: 14-19، حيث نتج الموت البشري عن الخطية البشرية. بعد ذلك، وصف بولس الفترة بين سقوط آدم وجبل سيناء: بوقت "حتى الناموس"، أي الوقت الذي لم ينظم فيه الناس النواميس مثل الوصايا العشر وكتاب العهد. وقال أيضاً أنه خلال هذا الوقت أن الناس "لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ". هذا يعني، أنهم لم ينتهكوا بالتحديد التوجيهات المُصاغة من الله كما فعل آدم في جنة عدن.

وبعد أن صرّح بولس بعدم وجود "ناموس" قبل جبل سيناء، كان عليه أن يتعامل مع الإمكانية الافتراضية بأنه: ربما كان الناس بين آدم وموسى أبرياء من الخطية. فإن لم يكن لديهم نواميس محدّدة لينتهكوها، فكيف يمكنهم التأكد من كونهم خطاة؟ للإجابة على هذا السؤال، أشار بولس إلى ميزة أخرى لذلك الوقت: "مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى". كانت حجته أنه كان الرجال والنساء تحت لعنة الموت، فمن خلال الاستنتاج المنطقي لا بد وأنهم خطاة.

استمر بولس في القول في السياق الأوسع لهذه الفقرة، بأن طاعة يسوع لله حلّت المشكلة التي نتجت عن خطية آدم. وكما أن عمل العصيان المنفرد لآدم جلب الموت لكل من ارتبط بآدم، فإن عمل الطاعة المنفرد للمسيح أعطى الحياة لكل من ارتبط بالمسيح. ولهذا السبب، قال إن آدم كان "نموذجاً" أو (رمزاً) ليسوع.

لاحظ كيف نجحت حجة بولس هنا. أولاً، جعل من الزمن من السقوط إلى إعطاء الناموس كفترة زمنية واحدة، والزمن من المسيح إلى وقتنا الحالي كفترة زمنية أخرى. ثانياً، ركّب كل فترة بربط بعض ميزاتها المختلفة معاً بطريقة منطقية. باختصار، قام بفعل نفس الشيء الذي يفعله اللاهوتيون

الكتابيون المسؤولون. ويعني هذا المثال أن التركيب التزامني هو ممارسة شرعية للمسيحيين العصريين.

بعد أن رأينا ما هو التركيب التزامني، وبينا أن العهد الجديد يشرع هذا الاقتراب، نحن مستعدون للانتقال إلى خطوة أساسية نحو خلق التركيب التزامني، أي عملية تمييز المعلومات التاريخية في العهد القديم.

المعلومات التاريخية

كما رأينا في الدرس السابق، فإن اللاهوتيين الكتابيين مهتمون بصورة خاصة بنوعين من الأحداث التاريخية: إعلانات العمل الإلهية، أي الأعمال التي فعلها الله، وإعلانات الكلمة الإلهية، أي الأمور التي قالها الله ومُرسَلوه.

قبل أن يتمكن اللاهوتيون الكتابيون من تركيب لاهوت فترة ما في العهد القديم، عليهم أولاً أن يجمعوا المعلومات عن الأحداث التاريخية - أي أعمال وكلمات الله التي حدثت في تلك الفترة. وتُصبح هذه الحقائق التاريخية الحجارة الأساسية في تركيبهم التزامني. فقد يبدو هذا أمراً سهلاً للوهلة الأولى. وقد نظن أننا بحاجة إلى تكرار فقط ما يقول الكتاب المقدس أنه حدث في أوقاتٍ محدّدة. لكن كما سنرى، يتطلب جمع المعلومات التاريخية من الكتاب المقدس اهتماماً كبيراً.

لا يأتينا العهد القديم كبيان من المعلومات التاريخية. بل، يتضمن القصص الكتابية، الشعر، الناموس، كتابات الحكمة، الأنساب، أنواع مختلفة من المزامير، الخطب النبوية، والعديد من الأساليب الأدبية الأخرى. وتكشف كل هذه الأساليب الأدبية معلومات عن أعمال الله وكلماته، لكن يتم تغليف هذه المعلومات التاريخية بميزات كل نوع أدبي. ولهذا السبب، على اللاهوتيين الكتابيين أن يجدوا طرقاً لجمع المعلومات التاريخية من كل نوع من الأدب.

سيسمح لنا الوقت فقط باستكشاف هذه العملية من خلال نوعين رئيسيين للأدب: الشعر والقصص الكتابية. لكن ما نتعلمه من هذين النوعين من الأساليب الأدبية ينبهنا إلى أنواع الاهتمامات التي تنطبق على أنواع الأساليب الأدبية الأخرى أيضاً. دعونا نبدأ بالطرق التي ينقل من خلالها الشعر المعلومات التاريخية.

الشعر

عندما نتحدث عن شعر العهد القديم، يتبادر إلى ذهننا فقرات مثل المزامير، بعض أدب الحكمة، الكثير من نبوات العهد القديم، وأجزاء أصغر من كتب أخرى أيضاً. ولكي نميّز الحقائق عن أعمال الله وكلماته من هذه الأسفار المقدسة، يجب أن نفهم كيف أن الميزات الأدبية للشعر تكشف عن المعلومات التاريخية.

وحتى ننظر في هذه الأمور، سوف نتطرق إلى مسألتين. أولاً، سننظر إلى عالمين تأمل بهما شعر العهد القديم دائماً. وثانياً، سننظر إلى كيف أن الاهتمام بهذين العالمين يؤثر على عملية تمييز المعلومات التاريخية في الشعر. دعونا ننظر أولاً إلى عالمي شعر العهد القديم.

عالمين

كان شعراء العهد القديم مهتمين بعالمين مختلفين يخبراننا عن التاريخ. حيث اهتموا، من جهة، بالعالم الذي كتبوا عنه – أي ما سنسميه "بذلك العالم". فعندما كتبوا عن ذلك العالم، قدّموا حقائق موضوعية عن أعمال الله وكلماته. أولاً، كثيراً ما فتح الشعر النوافذ على الماضي.

على سبيل المثال، إن إحدى الفقرات الشعرية المعروفة، هو التسبيحة التي رنمها موسى ومريم عند البحر الأحمر في خروج 15: 1-21. وقد شمل موسى هذا الشعر في سفر الخروج، جزئياً لكي يعطي قراءه معلومات تاريخية عما فعله الله عند البحر الأحمر. ثانياً، كثيراً ما قدّم شعر العهد القديم نوافذ على المعلومات التاريخية المعاصرة من زمن الكاتب نفسه. على سبيل المثال، يوصي المزمور الأول بالتأمل في ناموس الله. وحتى يعبر عن أهمية ناموس الله، لفت كاتب المزمور الانتباه إلى نماذج عن بركات الله المستمرة على خدامه الأمناء ودينونته على الخطاة. وبهذا المعنى، يعطي المزمور الأول قراءه بصيرة للأحداث الجارية في ذلك الوقت. ثالثاً، وجّه شعراء العهد القديم أحياناً انتباه قراءهم نحو المستقبل. على سبيل المثال، تنبأ إشعياء في إشعياء 40: 1-11، عن وقت سيعود فيه مسيبو يهوذا إلى أرضهم. وبطريقة أو بأخرى، كثيراً ما نقل شعر العهد القديم معلومات عن أعمال وكلمات الله المعلنة في الماضي، الحاضر والمستقبل.

ركز شعراء العهد القديم أيضاً على عالم قرائهم، الذي سنسميه "عالمهم". وقد فعلوا ذلك عن طريق تصميم نصوصهم لتؤثر في حياة قرائهم الأصليين بطرق معينة.

على سبيل المثال، شجعت تسبيحة موسى ومريم في خروج 15 قراء موسى الأوائل ليتقدموا

بثقة نحو أرض الموعد. كُتِبَ مزمو 1 لِيُلْهِمَ بالتأمل المستمر في ناموس الله. وُصِّمَتِ النبوات في إشعياء 40 لتشجع أولئك الذين واجهوا السبي ليحافظوا على رجاء العودة المجيدة إلى أرض الموعد. وقد لفت شعراء العهد القديم انتباه قرائهم الأصليين إلى "ذلك العالم" لإعلان عمل الله وكلمته، ليتكلم إلى "عالمهم"، أي الوقت الذي عاش فيه قراؤهم الأوائل. علينا أن نستكشف الآن كيف يؤثر عالمي شعر العهد القديم على الطرق التي نميّز بها المعلومات التاريخية من هذه الأجزاء من الكتاب المقدس.

تمييز المعلومات

يمكننا أن نكون على ثقة من أن ما قاله شعراء العهد القديم لقراءهم عن الماضي، الحاضر والمستقبل كان صحيحاً. فقد كانت تلك الكتابات موحى بها من الله، الذي يقول الحقيقة فقط. لكنهم كثيراً ما وصفوا التاريخ بطرق لم تكن مباشرة. ولهذا السبب، وحتى نعرف ما قصد الشعراء أن ينقلوه عن الحقائق التاريخية الموضوعية، علينا أن نفهم المعايير الأدبية لشعر العهد القديم. يوجد عدة طرق لوصف المعايير الأدبية لشعر العهد القديم، لكن من أجل أهدافنا سنشير فقط إلى أربعة ميزات بارزة. أولاً، تستخدم الفقرات الشعرية مفردات وتركيب جمل غير عادية مُصمّمة لجعل القراء يتأملون بما هو مكتوب. ثانياً، استخدم شعراء العهد القديم الكثير من المجازات اللغوية، مثل الاستعارات، التشبيهات، القياسات، والإغراق (المبالغات) لوصف الحقائق التاريخية بصورة غير مباشرة. ثالثاً، عبّر الشعراء عن أفكارهم الخيالية الخاصة ليحثوا قراءهم على الخبرات الحسية الخيالية المقنعة. رابعاً، نقلوا مشاعرهم الخاصة ليحركوا ردود فعل عاطفية في قرائهم. وتظهر هذه الخصائص في أساليب أدبية أخرى إلى حد ما، لكنها كانت ميّزات رئيسية مركزة في شعر العهد القديم. وحتى نرى كيف أثرت هذه الخصائص في نقل المعلومات التاريخية، سننظر إلى جزء من فقرة شعرية سبق وأشرنا إليها، وهي تسبيحة موسى ومريم عند البحر الأحمر في خروج 15. اصغ إلى ما كتبه موسى في خروج 15: 6-7:

يَمِينُكَ يَا رَبُّ	مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ.
يَمِينُكَ يَا رَبُّ	تُحَطِّمُ الْعُدُوَّ.
وَبِكْرْتِكَ عَظَمَتِكَ	تَهْدِمُ مَقَاوِمِيكَ.
تُرْسِلُ سُخْطَكَ	فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ. (خروج 15: 6-7)

كما رأينا، أشار موسى في هذه الفقرة إلى الحدث التاريخي لعبور إسرائيل للبحر الأحمر. لكن لا تعطينا هذه الآيات وصفاً جافاً لما فعله الله. على سبيل المثال، لم تكن يمين الله ظاهرة عند البحر الأحمر، على الرغم من أن موسى قال: "يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعُدُوَّ". ولم يحترق المصريون بالنار، على الرغم من أنك "تُرْسِلُ سُحُطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ".

بدلاً من ذلك، يخبرنا السجل القصصي في سفر الخروج، أن الله أرسل ريحاً شرقية قوية فصلت مياه البحر، سامحة للإسرائيليين بالعبور على أرض جافة. ثم أغرق الله الجيش المصري المطارد بإرجاع المياه عند عبور المصريين.

وهكذا، لماذا تحدث موسى عن يمين الله، وسخطه الذي أكل المصريين مثل القش؟ لقد اعتمد موسى على استعارة العهد القديم الشائعة عن يمين الله، ليصف هذا الحدث كهجوم الله العظيم على أعدائه. وقد استخدم تشبيهاً مبالغاً فيه ليشبه حالة المصريين بالقش المحروق، وذلك ليس لإظهار وسائل هلاكهم، بل لإظهار كيف هلكوا بصورة كاملة ورهيبة. وأراد موسى أيضاً أن يحث الخبرات الخيالية للحدث في عقول قرائه وقلوبهم. وعبر عن تسبيحه الحماسي لله، وألهم الآخرين ليفعلوا الشيء ذاته. وقد قصد موسى أن يُؤخذ شعره كسجل حقيقي للحدث، لكنه لم يقصد أبداً أن يُقرأ كوصف حرفي، جاف.

عندما نقرأ بالخصائص الشعرية لخروج 15: 6-7، يمكننا تمييز معلوماته التاريخية بسهولة نسبية. وقد نلخص هاتين الآيتين بطرق متنوعة، اعتماداً على الجانب المتعلق بالنص الذي هو محور اهتمامنا. على سبيل المثال، إذا أردنا التركيز على الطريقة التي تستخدم فيها هاتين الآيتين المجازات اللغوية لنقل المعلومات التاريخية، يمكننا تلخيصها كما يلي: "حرّر الله إسرائيل بشكل معجز، مدمراً الجيش المصري في البحر الأحمر".

يوضح هذا المثل أنه علينا أن نقارب شعر العهد القديم بحذر. يجب ألا نقرأه بنفس الطريقة التي نقرأ فيها النثر. بدلاً من ذلك، علينا أن نصقّي المعلومات التاريخية عن طريق تمييز مفردات وتركيب جمل الشعر غير العادية، مجازاته اللغوية، اهتماماته الخيالية، وتأثيراته العاطفية. عندها فقط، يمكننا أن نستمد فهماً أكثر واقعية لأعمال الله وكلماته، التي تساهم في التركيبات التزامنية للاهوت العهد القديم.

بعد أن تطرقنا إلى بعض الطرق التي يمكننا أن نميّز بها المعلومات التاريخية في الشعر، يجب أن ننقل إلى نوع أدب القصص الكتابية للعهد القديم.

القصص الكتابية

كلنا على علم بحكايات العهد القديم. وتتضمن أسفاراً مثل التكوين، الخروج، وأخرى كثيرة، الحكايات إلى حدٍ كبير، أي قصص حقيقية عن أشخاص، أماكن وأحداث تاريخية. وكثيراً ما استمد اللاهوتيون الكتابيون من الحكايات بشكل كبير لأن قصصهم تُظهر الكثير من التفاصيل عن التاريخ. فهي تسجل الكلمات والخطب، أسماء الشخصيات، الأماكن التي جرت فيها الأحداث، والارتباطات التاريخية المتنوعة. إن هذه الخصائص وأخرى تجعل من الحكايات مصادر غنية للتركيب التزامني. لكن يتطلب التعرّف على المعلومات التاريخية تفسيراً دقيقاً حتى للحكايات. سننظر إلى القصص الكتابية بنفس الطريقة التي ناقشنا فيها الشعر. أولاً، سنرى أن القصص الكتابية صُمّمت أيضاً لتقديم المعلومات حول عالمين. وثانياً، سنفحص الطريقة التي نميّز بها المعلومات التاريخية في نوع الأدب هذا. دعونا ننظر أولاً إلى الطرق التي تسجل بها هذه الأجزاء من الكتاب المقدس المعلومات التاريخية حول العالمين.

عالمين

ومثل الشعراء، وقف كتّاب القصص الكتابية أيضاً بين عالمين. فقد كتبوا، من جهة، عن العالم الذي كان موضوع نصهم، أو "ذلك العالم". لكن خلافاً للشعر، تُركّز القصص الكتابية على الماضي إلى حد بعيد، ونادراً ما تذكر الحاضر أو المستقبل. على سبيل المثال، كتب موسى عن التاريخ البدائي وتاريخ الآباء الأولين في سفر التكوين، رغم أنه عاش بعد ذلك بكثير. وكثيراً ما كتب كتّاب العهد القديم عن أزمنة سبقت الزمن الذي عاشوا فيه بمئات السنين.

من جهة أخرى، تعامل كتّاب القصص الكتابية أيضاً مع "عالمهم"، أي العالم الذي عاش فيه قراؤهم. فقد أرادوا أن يفكر قراؤهم، يعملوا، ويشعروا بطرق معينة ضمن عوالمهم الخاصة بهم في ضوء أحداث الماضي.

وهكذا، بينما كتب موسى عن الفترة البدائية وفترة الآباء الأولين، وصف تلك الأيام القديمة بطرق علّمت قرائه الإسرائيليين عن امتيازاتهم ومسؤولياتهم. وكتب جميع مؤلفي قصص العهد القديم الكتابية عن الماضي، من أجل قرائهم الذين يعيشون في أزمنة لاحقة.

لقد صُمّمت قصص العهد القديم الكتابية ليكون لها عدة تأثيرات مختلفة. فقد كانت تمجيدية، حيث قادت القراء إلى تسبيح الله وعبادته. وكانت لاهوتية، شارحة الحقائق المتعلقة بالله. كان بعضها

سياسي، مركزاً على الأحداث الوطنية الحالية، بالإضافة إلى كونه جدلي، مقاوماً التعاليم الزائفة. وكانت أخلاقية، شارحةً كيف يجب أن يعيش شعب الله. كما كانت تحفيزية، مُشجعةً كل نوع من أنواع التجاوب المخلص.

باختصار، كانت قصص العهد القديم الكتابية تعليمية. وكانت مُصمَّمة لتعلم القراء الأوائل عن حياتهم. حيث كان معظم الهدف التعليمي ضمناً في أدب القصص الكتابية، وتوقع المؤلفين أن يستنتج قراؤهم المبادئ اللاهوتية من قصصهم. ورغم ذلك، كان هذا الجانب التعليمي مقصوداً. حيث كان المؤلفون دائماً يكتبون ليعلموا قراءهم عن حياتهم الخاصة. بعد أن بحثنا في هذين العالمين، علينا أن ننقل إلى الطرق التي نَمِيزُ بها المعلومات التاريخية من قصص العهد القديم الكتابية.

تمييز المعلومات

للأسف، كثيراً ما يُخطئ الإنجيليون المعاصرون في توقع أن تكون حكايات العهد القديم مثل الكتابات الصحفية المعاصرة. ومنذ عصر التنوير في القرن السابع عشر في أوروبا، سعى الكثير من المؤرخين إلى تطبيق معايير الصرامة العلمية على السجلات التاريخية المكتوبة. وحسب هذه النظرة، يجب أن يسعى المؤرخون حتى يكونوا دقيقين مثل نظرائهم في العلوم كالكيمياء وعلم الأحياء.

هناك عدة طرق لتلخيص هذه المعايير الصارمة، لكن يمكننا القول إنه حسب وجهة النظر هذه، يجب أن تكون السجلات التاريخية الموثوق بها شاملة، دقيقة وموضوعية. هذا يعني، أن السجلات التاريخية الحقيقية ستشمل كل حقيقة هامة عن حالة ما، لتعطي سجلاً متوازناً. وهي ستنقل التفاصيل بدقة صارمة، أو تعترف بعدم دقتها على الأقل. كما وستجنب كل التقييمات الذاتية التي يمكن أن تجعل القراء مُتحيّزين. ويمكننا أن نفهم الآن لماذا تطوّرت هذه المُثُل العليا المعاصرة. في نهاية الأمر، من السهل جداً أن نخطئ الحقيقة بالخيال عندما لا يصل المؤرخون إلى هذه المعايير إلى حدٍ ما.

ومع ذلك، لم يتبع مؤلفو قصص العهد القديم الكتابية هذه المُثُل العليا المعاصرة بكل معنى الكلمة. فهم لم ينشروا الأوهام الدينية. أو قدّموا الأخطاء التاريخية أو التلفيقات على أنها حقيقة. لكنهم، كتبوا بطرق تحدّدت إلى حد بعيد من خلال أهدافهم التعليمية، وليس من خلال إدراكنا العصري.

وحتى نرى كيف يكون هذا الأمر صحيحاً، دعونا ننظر باختصار إلى المعايير الثلاثة العصرية، والتي كثيراً ما تطبق على قصص العهد القديم الكتابية بشكل خاطئ، بدءاً بفكرة أن السجلات التاريخية يجب أن تكون شاملة.

كانت قصص العهد القديم ببساطة شاملة فقط لما يناسب الأهداف التعليمية لكتّابها. فهم لم يشملوا كل حقيقة هامة.

تأمل مثلاً من سفر أخبار الأيام. عندما ركّب كاتب سفر أخبار الأيام تاريخ حياة سليمان في 2 أخبار الأيام 1-9، اتبع سجل 1 الملوك 1-11 عن كذب إلى حد ما. لكنه حذف كل بُعد سلبي لمُلك سليمان. وحذف الإشارات إلى زواج سليمان من ابنة فرعون والنساء الأجنبية الأخريات، بناء مراكز عبادة لألهتهن في الهيكل، والإدانة النبوية القاسية التي تلقاها سليمان.

كانت هذه الأحداث السلبية، عملياً، هامة جداً بكل المعايير. في نهاية الأمر، وحسب 1 الملوك 11: 11-13، أدت إخفاقات سليمان إلى انقسام المملكة. لكن قرّر مدوّن الأخبار ألا يذكرها بسبب أهدافه التعليمية. ومن المؤكد، أن العديد من قرائه كانوا يعرفون هذه المعلومات، لكن مدوّن الأخبار أرادهم أن يركّزوا على إنجازات سليمان الإيجابية. ونتيجةً لذلك، ركّز سجله على نجاحات سليمان.

لم يشعر كتّاب العهد القديم بأنهم ملزمون بشمل كل حقيقة هامة. فهم لم يتلاقوا مع المقياس العصري للشمولية في كتابة التاريخ الجيدة. ومع ذلك، إن قصصهم الكتابية هي سجلات عن الماضي صحيحة وذات سلطان.

في المقام الثاني، كان مؤلفو العهد القديم دقيقين فقط بقدر ما تطلبت أهدافهم التعليمية. هناك فارق أساسي بين الدقة والحقيقة. فنحن نتكلم كل يوم عن أمور بشكل غير دقيق دون تشويه الحقيقة. فعندما يسألنا أحدهم، "كم الساعة؟" لا نتردد بالقول، "إنها الساعة الثانية"، بينما يمكن أن تكون إجابتي أكثر دقة، إنها دقيقتين وعشرين ثانية بعد الساعة الثانية. إن الدقة في كل جانب من الحياة هي مسألة نسبية. وطالما أننا نرد بالدقة المطلوبة، فلن يتهمنا أحد بتشويه الحقائق. في الواقع، ينطبق الأمر نفسه على مؤلفي العهد القديم إلى حد بعيد. فقد كانوا دقيقين بشكل كافي للوصول إلى أهدافهم التعليمية.

تأمل على سبيل المثال، تكوين 1: 7، حيث كتب موسى عن الغلاف الجوي للأرض بهذه الطريقة:

فَعَمِلَ اللهُ الْجَدَّةَ وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَدَّةِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَدَّةِ.

(تكوين 1: 7)

كتب موسى هنا أن الله وضع "الْجَدَّ" في السماء، مستخدماً الكلمة العبرية 'raqia'. ويعني مصطلح 'raqia' نوعاً من المادة الصلبة المسطحة. وكما تخبرنا هذه الفقرة، فصلت هذه المادة الصلبة بين "المِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَدِّ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَدِّ".

نعرف كأشخاص عصريين أن وصف موسى للغلاف الجوي للأرض غير دقيق علمياً. فقد تكلم موسى بهذه الطريقة لأن السماء بدت له ولكثيرين آخرين كسقف أو خيمة من البلور الأزرق أو العقيق الأزرق. وكان يُعْتَقَد عادةً، أن الأمطار نتجت عن المياه الزرقاء فوق، والتي انسكبت من خلال الثقوب أو المداخل في ذلك السقف الصلب. وبالطبع، كان بإمكان إله الأسفار المقدسة الكلي المعرفة، أن يعلن لموسى فهماً أكثر دقة علمياً للغلاف الجوي للأرض، إذا أراد ذلك. لكن لم يكن هذا ما أراد الروح القدس أن يتعلمه شعبه. فلم يشوّه موسى الحالة الحقيقية للطبيعة. لكنه تحدث عنها بشكل غير دقيق، كما بدت له.

بعد معرفة هذا، علينا أن نحرص على عدم المبالغة في تقدير مستوى الدقة الذي قصد موسى أن يصل إليه في تكوين 1: 7. فإننا سنخطئ إذا استنتجنا أنها حقيقة تاريخية أن "الله وضع حاجزاً صلباً في السماء"، أو أنه "وضع المياه فوق وتحت حاجز صلب". بدلاً من ذلك، يجب أن يُقرّ تقييمنا لهذا السجل التاريخي، بعدم دقة موسى ويركّز على هدفه التعليمي. على سبيل المثال، يمكننا أن نقول بحق من خلال تكوين 1: 7 أن "الله رتّب السماء؛" أي أن "الله أسس السماء ليجعل الأرض صالحة للسكن؛" وأن "الله رتّب السماء بطريقة جيدة". ويجب أن يُقرّ التفسير المسؤول بحقيقة أن موسى ومؤلفين كتابيين آخرين، تحدثوا عن الحقائق التاريخية بقدر كافٍ من الدقة، بحيث تلاقوا مع أهدافهم التعليمية.

تأتي مسألة الدقة في الطليعة أيضاً، عندما نتأمل في سجلات كلمات وأفكار قصص العهد القديم الكتابية. خذ مثلاً واحداً فقط. حيث نجد في 1 الملوك 9: 5، و2 أخبار الأيام 7: 18، وصفاً لكلمات الله رداً على صلاة سليمان عند تدشين الهيكل. دعونا نقارن بين هاتين الفقرتين. نقرأ في 1 الملوك 9: 5 هذه الكلمات من الله:

سأنشئ عرش ملكوتك فوق إسرائيل إلى الأبد، تماماً كما كلمت داود أباك قائلاً،
"لن يُعزّل لك رجلٌ عن عرش إسرائيل". (حرفياً)

ونقرأ في 2 أخبار الأيام 7: 18 هذه الكلمات من الله:

سَأَنْشِئُ عَرْشَ مَلَكُوتِكَ تَمَاماً كَمَا عَاهَدْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلاً، "سَيَمْلِكُ لَكَ رَجُلٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ". (حرفياً)

يوضح السياقان الأوسع لهاتين الآيتين أنهما تشيران إلى الحدث التاريخي ذاته، لكن الصياغة ليست نفسها بدقة. ففي 1 الملوك "كلم الله دَاوُدَ"، لكنه في 2 أخبار الأيام "عاهد دَاوُدَ". وقال الله في الملوك الأول "لن يُعزَلَ لك رجلٌ عن عرش إسرائيل"، بينما قال في أخبار الأيام الثاني "سيملك لك رجل على إسرائيل". وقد تنتج بعض هذه الفروقات عن أخطاء في نقل النص، لكن ليس جميعها. فهي تعكس بالأحرى حقيقة أن قصص العهد القديم الكتابية لم تُصمَّم لتكرار كلمات وأفكار الله أو أي شخص آخر بدقة مطلقة.

في الواقع، لم يقصد كاتب سفر الملوك ولا مؤلف سفر أخبار الأيام أن يكونا دقيقين تماماً. حيث كان ما كتبه صحيحاً تاريخياً. فهما لم يحرفا ما قاله الله. لكن تحدت مستويات الدقة لديهم من خلال أهدافهم التعليمية، وليس من خلال المفاهيم العصرية عن الحفظ الدقيق للسجلات. ويقطر التفسير المسؤول ما قاله الله بمستويات من الدقة تُطابق السجلات الكتابية. ويمكننا أن نكون واثقين بأن "الله قال إنه سينشئ سلالة داود"؛ وأن "الله وعد بأن يقيم عهده مع داود". وأن أحد أنسال داود سيملك على إسرائيل دائماً". لكن السعي إلى دقة أكثر من ذلك سيكون مضللاً. وبينما نستكشف الأسلوب الأدبي للقصص الكتابية في التركيب التزامني، نواجه عدة أنواع مختلفة من عدم الدقة. وكثيراً ما لا يستوفي، عدد من الأشخاص، المقاييس، المراجع الجغرافية وما شابه، المعايير العلمية العصرية. لكن لا يعني هذا النقص في الدقة العصرية أن السجلات غير صحيحة. بل بالعكس، يمكننا الوثوق بأن قصص العهد القديم تخبرنا الحقيقة عن التاريخ. لكن، يجب أن نحرس دائماً على عدم المبالغة في تقدير دقتها. أخيراً، دعونا نتأمل في حقيقة أن قصص العهد القديم الكتابية ليست موضوعية وفقاً للمعايير العصرية.

من الشائع أن نظن في أيامنا، أن يبقى الكتاب التاريخيين الموثوق بهم موضوعيين في نقلهم للأخبار، ولا يسمحون لتقدمهم للتاريخ أن يعكس آرائهم أو تقييماتهم الشخصية للأحداث. لكن علينا أن نتذكر دائماً أن الموضوعية هي مسألة نسبية. وطالما أنه يتم حفظ السجلات التاريخية، فإن هناك دائماً مؤرخين سمحوا لآرائهم الموضوعية أن تحرف كتاباتهم لدرجة أنهم شوهوا التاريخ فعلاً.

وكان لدى حتى أكثر المؤرخين موضوعية تحيزات لم يتمكنوا من الهرب منها. وقد أثرت هذه التحيزات في الحد الأدنى، على الأحداث التي سجلوها والطريقة التي وصفوها بها. ونعلم، بهذا المعنى، أن الكتابات التاريخية لم تكن موضوعية تماماً.

وهذا صحيح أيضاً فيما يتعلق بالعهد القديم. فقد ألهم الله مؤلفي العهد القديم ليشكّلوا آراء قرائهم. وقد أثر هذا الهدف على ما حذفوه، وما شملوه، وكيف وصفوا ما شملوه. ودفّعهم هذا الهدف، في بعض الأحيان، للتعبير عن تحيزاتهم وتقييماتهم بجرأة.

اصنع على سبيل المثال، إلى هذه الكلمات من تكوين 13: 13، حيث سجل موسى أن لوط نصب خيمه قرب سدوم:

وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا. (تكوين 13: 13)

يجب ألا نخجل من تقييم موسى لسدوم. فقد أعطى رأيه في المدينة، لكن وجهة نظره الأخلاقية كانت مستوحاة من الله لذلك كانت صحيحة. ويجب أن نشعر بالحرية حتى نقول أموراً مثل: "ابتعد لوط عن الله وعاشر أشخاصاً أشراراً"، أو "كانت مدينة سدوم مليئةً بأناس أشرار". ويمثّل هذان التصريحان حقائق موضوعية حول الظروف التاريخية في ذلك الوقت.

باختصار، يمكننا أن نقول بثقة، أن قصص العهد القديم الكتابية لم تكن مُصمّمة لتستوفي المعايير العصرية لكتابة التاريخ. فهي تقدّم فقط معلومات تاريخية موثوقة تماماً، ستساعدنا على بناء التركيب التزامني للاهوت العهد القديم.

بعد أن رأينا بعض الطرق التي يمكننا أن نميّز بها المعلومات التاريخية في العهد القديم، يمكننا أن نوجّه انتباهنا الآن إلى موضوعنا الأخير: البنى اللاهوتية التركيبية. سنركّز في هذا الجزء من درسنا، على الطرق التي شكلت فيها إعلانات الله في فترات مختلفة من تاريخ العهد القديم، بنى لاهوتية تركيبية متماسكة منطقياً.

البنى التركيبية

عندما نتكلم عن البنى اللاهوتية التركيبية، فإننا نعني أن الإعلانات الإلهية تتلاءم معاً بحيث تشكّل معايير منطقية أو متماسكة بشأن المسائل اللاهوتية. وهذا لا يعني أن البشر يفهمون الارتباطات المنطقية بين الأشياء التي أعلنها الله بصورة شاملة. بالأحرى، لم تكن إعلانات الله

معزولة عن بعضها البعض، ولم تكن متضاربة منطقياً مع بعضها البعض. وعندما يُنظر إلى هذه الإعلانات بصورة صحيحة، فإنها تشكل نماذج منطقية للإيمان، أو ما نسميه بالبنى اللاهوتية التركيبية.

سننظر إلى هذا الموضوع بطريقتين رئيسيتين. أولاً، سنتطرق إلى المصادر المتنوعة التي يجب أن نستمد منها لنمیز تلك البنى اللاهوتية التركيبية في العهد القديم. وثانياً، سنرى أن هذه البنى اللاهوتية تظهر على مستويات متنوعة. لننظر أولاً إلى المصادر المختلفة التي ينبغي أن تبقى في أذهاننا.

المصادر المتنوعة

بينما نستكشف المصادر المتنوعة التي نمیز منها البنى اللاهوتية، سنتأمل أولاً في الإعلانات الكتابية، وثانياً سننظر إلى الإعلانات من خارج الكتاب المقدس. وكلما فسّرنا أي سفر، يجب أن نكون مستعدين لاستخدام كل الموارد المتاحة. لكن سيساعدنا أن نفكر انطلاقاً من هاتين الفئتين الأساسيتين للموارد. لننظر أولاً إلى الإعلانات الكتابية التي تُظهر لنا البنى اللاهوتية.

الإعلانات الكتابية

إن الأسفار المقدسة هي اهتمامنا الرئيسي عندما نمیز البنى اللاهوتية في أي فترة من تاريخ العهد القديم. لكن كثيراً ما يُطرح سؤال وهو: "إلى أي من أجزاء الأسفار المقدسة ينبغي أن ننظر؟". ومن أجل المناقشة، سنقسم هذا السؤال إلى ثلاثة نماذج من الفقرات الكتابية، تتعلق بفترة الزمن التي ندرسها: أولاً، الفقرات التزامنية؛ أي أجزاء الأسفار المقدسة التي تتعلق بالفترة الزمنية التي ندرسها؛ ثانياً، الفقرات السابقة؛ أي أجزاء الكتاب المقدس التي تتعلق بالتاريخ قبل الفترة التي ندرسها؛ وثالثاً، الفقرات اللاحقة، أي أجزاء الأسفار المقدسة التي تتعلق بالإعلان في فترات لاحقة. دعونا نتأمل أولاً كيف تساعدنا الفقرات الكتابية التزامنية في تمييز البنى اللاهوتية.

عندما نتحدث عن فقرات تزامنية في هذا السياق، فإننا لا نعني الفقرات التي كُتبت في الوقت ذاته، بل الفقرات التي تصف الفترة الزمنية ذاتها. وتظهر في بعض الحالات، معلومات متعلقة بلاهوت فترة ما، فقط في فقرة واحدة في الأسفار المقدسة. لكن تُوصف فترات تاريخ العهد القديم في معظم الأحيان، في أكثر من مكان واحد. وفي هذه الحالة، علينا أن نجتمع كل المعلومات التي

قدمتها الأسفار المقدسة.

وبما أننا نؤمن بأن الأسفار المقدسة موحى بها من الله، فإننا نؤكد تناغم كل أجزائها. ونعتبر أن كل تعليق كتابي على التاريخ واللاهوت لفترة ما، هو صحيح ويتلاءم بشكل متماسك مع كل شيء نعرفه عن تلك الفترة. ولا يناقض المؤلفون الكتابيون بعضهم البعض؛ بل يكمل أحدهم الآخر بانسجام. وهكذا، يجب ألا نقيّد أنفسنا بفقرة واحدة؛ علينا أن نكون مستعدين حتى نستمد من العديد من الأجزاء التزامنية في الكتاب المقدس، لنحدّد ما الذي فعله الله وقاله في فترات تاريخية محددة. وبالإضافة لل فقرات التزامنية، هناك العديد من الأوقات التي ينبغي أن نستمد فيها من الأقسام السابقة من الكتاب المقدس. ولا نقصد هنا أجزاء الكتاب المقدس التي كُتبت قبل أجزاء أخرى، بل الفقرات التي تركّز على فترات أبكر من تاريخ العهد القديم. إن ما فعله الله وقاله في الفترات الأبكر يلقي الضوء على البنى اللاهوتية للفترات اللاحقة.

على سبيل المثال، وعد الله إبراهيم في تكوين 12: 1-3 بأنسال لا تُحصى، وبميراث أرض الموعد. وتظهر كلمات الله هذه مراراً في إصحاحات سفر التكوين المُكرّسة لحياة إبراهيم، وهي حاسمة لفهم البنى اللاهوتية لحياته. ومع ذلك، لا يوجد تفسير واضح لأهميتها خلال حياة إبراهيم. ويمكن الإجابة على هذه المسألة بشكل أفضل، من خلال الفقرات الكتابية التي تتناول الفترات الزمنية السابقة أو اللاحقة.

على سبيل المثال، أمر الله صورتيه آدم وحواء في تكوين 1: 28، بأن يثمرتا ويتسلطا على كل الأرض. وقد كان هذا الامتداد العددي والجغرافي لصورة الله على الأرض، دائماً أساسياً لأهداف الله للجنس البشري.

وعندما كتب موسى عن إبراهيم لاحقاً، بنى على هذه البنية اللاهوتية اللاحقة. ببساطة، ركّز الله على أنسال إبراهيم والأرض لأنه اختار إبراهيم وأنساله ليكملوا مهمة آدم الأصلية. وسيكون تكاثر أنسال إبراهيم وامتلاكهم لأرض الموعد، نقطة الانطلاق للسيطرة النهائية للبشرية على العالم بأسره. ومرةً تلو الأخرى، نجد أن سجلات العهد القديم لا تشرح الكثير من وجهات النظر اللاهوتية، لأنها تعتمد على ما سبق وأعلنه الله في فترات زمنية باكرة. ولهذا السبب، علينا أن نكون دائماً على علم بالإعلانات السابقة بينما نقوم بدراسة البنى اللاهوتية لجزء معيّن من التاريخ.

بالإضافة إلى الأسفار المقدسة التزامنية والسابقة، تساعدنا الفقرات اللاحقة أيضاً على تمييز البنى اللاهوتية. وكما هو الحال في الأنواع الأخرى من الفقرات، فإن المقاطع اللاحقة ليست بالضرورة تلك التي كتبت لاحقاً. إنها بالأحرى، أسفار مقدسة تتناول الفترات اللاحقة من التاريخ.

اصغ على سبيل المثال، إلى كلمة الله لإبراهيم في تكوين 12: 3:

وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلَا عِنِكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. (تكوين 12: 3)

دُعي إبراهيم، في الجزء الثاني من هذه الآية، بوضوح ليكون القناة التي سيبارك من خلالها الله العالم بأسره. لكن احتار الكثيرين بسبب النصف الثاني من هذه الآية. فما الذي قصده الله عندما قال إن هذه البركة العالمية ستأتي من خلال العملية الثنائية في بركة الله لأولئك الذين باركوا إبراهيم واللعنة لأولئك الذين لعنوه؟ إن إحدى الطرق لفهم ذلك هي من خلال النظر إلى الإعلان الكتابي اللاحق. اصغ على سبيل المثال، إلى كلمات مزمو 72: 17:

يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ. وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَّمِ الْأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ. (مزمو 72: 17)

لقد كُتِبَ مزمو 72 في أيام سليمان، بعد زمن إبراهيم بحوالي ألف سنة. وعندما يتحدث عن الشخص الذي "يكون" اسمه "إلى الدهر"، فإنه يشير إلى الابن العظيم لداود، المسيح الذي سينتصر، ويحكم كل الأمم ويتلقى كنوزها. إن هذه الآية هي إعلان لاحق لتكوين 12، لأنها تشير إلى المواضيع الملكية التي انطبقت على فترة سليمان التاريخية اللاحقة. لكنها تخبرنا شيئاً عن البنى اللاهوتية خلال زمن إبراهيم أيضاً. وتلمح على وجه الخصوص، إلى عرض الله الباكر لإبراهيم عندما تقول "وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَّمِ الْأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ". ولكن ماذا تخبرنا عن الطريقة التي سيتحقق بها عرض الله لإبراهيم؟

تشير الآيات المحيطة بمزمو 72 إلى أن بركات إبراهيم ستنتشر إلى العالم من خلال الحرب. وعندما يهزم المسيح الأمم الشريرة ويحمي الأبرار بين الأمم، سيتبارك أولئك الذين وقفوا إلى جانب نسل إبراهيم الملكي، وسيلعن أولئك الذين قاوموه. وفي النهاية، ستتبارك كل شعوب الأرض بهذه العملية.

إن هذا الرأي مؤكّد من خلال حقيقة أن العديد من القصص عن إبراهيم سجل تقاعلات رئيس الآباء الإيجابية والسلبية مع مجموعات أخرى من الناس. لقد أعلن الله لإبراهيم أن بركته لكل الأمم، ستأتي من خلال عملية نزاع سيبارك فيها الله البعض ويهلك آخرين. وكما يوضح هذا المثل، لم يتم ذكر البنى اللاهوتية الباكرة في أحوال كثيرة، أو كانت تُترك

غامضة حتى يوضحها إعلان لاحق. ويمكن للإعلان الكتابي اللاحق، في تلك الحالات، أن يساعدنا على إدراك البنى اللاهوتية للفترات السابقة. وهكذا يمكننا أن نرى أنه علينا أن نكون مستعدين لنستمد من كل الأنواع الزمنية للإعلان الكتابي، حتى نكتسب فهماً أكبر للبنى اللاهوتية لفترة محدّدة من تاريخ العهد القديم.

يجب أن ننقل الآن إلى مصدر رئيسي ثانٍ يمكننا من رؤية البنى اللاهوتية التي ميّزت فترات العهد القديم: الإعلان من خارج الكتاب المقدس، أي إعلان الله خارج الكتاب المقدس.

الإعلانات من خارج الكتاب المقدس

بينما نسعى لفهم البنى اللاهوتية لفترة في العهد القديم، مهمٌّ أن نتذكر أنه لم يتم كتابة أي فقرة كتابية في فراغ لاهوتي. حيث كتب مؤلفو العهد القديم نصوصهم ضمن سياق المعتقدات والبنى اللاهوتية التي تقاسموها مع شخصياتهم بالإضافة إلى قرائهم.

كشف الله عن هذه الإطارات اللاهوتية من خلال نوعين من الإعلانات من خارج الكتاب المقدس. أولاً، كشف عنها من خلال الإعلان العام، أي إعلان الله في كل الأشياء؛ وثانياً، أعطاهم من خلال إعلانات خاصة غير موجودة في الأسفار المقدسة.

يعلّم كلا العهدين القديم والجديد من البداية، أن كل شخص تعلّم على الأقل بعض اللاهوت الجيد من خلال الإعلان العام. وتشير فقرات مثل مزمو 19، ورومية 1: 18-21 إلى أن الله أعلن بوضوح عن طبيعته، متطلباته الأخلاقية وعواقب الخطية إلى كل الشعوب من خلال الخليقة. ويمكننا تلخيص المسألة بهذه الطريقة: على الرغم من حقيقة أن الناس الخطاة غالباً ما يقيمون ما يعرفونه من الإعلان العام، فإنهم على مستوى ما، لا زالوا يفهمون ما يكفي من اللاهوت الحقيقي لجعلهم مسؤولين عن فهم إعلانات الله الخاصة.

وبسبب حقيقة الإعلان العام، افترض مؤلفو العهد القديم دائماً، أن الشخصيات التاريخية في نصوصهم والقراء اللاحقين لقصصهم، شاركوا معهم بالكثير من المعايير اللاهوتية الحقيقية. حيث شعروا بعدم الحاجة لشرح بعض الأمور بطريقة واضحة، لأن العديد من البنى اللاهوتية الأساسية كانت موجودة فعلاً. تأمل فقط في فقرة واحدة، كثيراً ما يسيء اللاهوتيون المعاصرون فهمها، لأنهم ينسون الإعلان العام. على سبيل المثال، نقرأ في تكوين 22: 12 أن الله منع إبراهيم من تقديم ابنه كذبيحة بهذه الكلمات:

فَقَالَ لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً. لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفُ اللَّهِ فَلَمْ
تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي. (تكوين 22: 12)

للأسف، كثيراً ما يساء تفسير هذا المقطع من قبل اللاهوتيين المعاصرين. لأن الملاك قال "الآن علمت أنك خائف الله"، اقترح عدد من المفسرين أن إبراهيم اعتقد أن الله لم يعرف ما سيفعله إبراهيم قبل تلك اللحظة في القصة. بعبارة أخرى، تمسكوا بأن اللاهوت في تلك الفترة لم يشمل الاعتقاد بأن الله كلي المعرفة.

لكن الشهادة الكتابية المتعلقة بالإعلان العام تشير إلى العكس تماماً. حيث أعلن بولس في رومية 1: 20 أن كل الناس يعرفون "أمور الله غير المنظورة"، مثل العلم بكل شيء. وبالطبع، يطمع الناس الخطأة هذه المعرفة، ويمكنهم إساءة تفسير كلمات الله لإبراهيم. لكن يوضح الإعلان العام أن سجل موسى عن تلك اللحظة من حياة إبراهيم، لا يقترح أن الله كان محدوداً في معرفته.

مرة تلو الأخرى، يتم افتراض الإعلان العام من قبل الكتاب الكتابيين. عندما استلم الأمميون رسائل من أنبياء إسرائيل، مثل يونان ودانيال، لم يكونوا وجهات نظرهم اللاهوتية فقط استناداً على بعض الأمور التي قالها أولئك الأنبياء بوضوح. فقد تكلم مرسلو الله مع هؤلاء الوثنيين وهم على ثقة بأنهم كانوا يفهمون الكثير عن إله السماء والأرض الحقيقي من خلال الإعلان العام.

وبينما نسعى إلى فهم البنى اللاهوتية التي ميّزت فترة تاريخ العهد القديم، يجب أن نتذكر دائماً أن هناك كثير ما زال غير مكتوب، لأن الكتاب الكتابيين افترضوا الإعلان العام. بالإضافة إلى الإعلان العام، يساعدنا مصدر ثان من خارج الكتاب المقدس على فهم البنى اللاهوتية لفترة ما في تاريخ العهد القديم وهو: الإعلان الخاص من خارج الكتاب المقدس.

يشير العهد القديم إلى أن الله أعطى إعلانات خاصة إلى أشخاص معينين من خلال الأحلام، الرؤى، الأصوات، وما شابه. وغني عن القول إن العديد من الناس القديسين في الأسفار المقدسة تلقى الكثير من الإعلانات الخاصة التي لا وجود لشاهد كتابي محدد عليها. وقد أعطيت الإعلانات الخاصة حتى لبعض الناس خارج إسرائيل، مثل ملكي صادق، وحتى فرعون في أيام يوسف. ويلمح العهد القديم أحياناً إلى حدوث تلك الإعلانات من خارج الكتاب المقدس، وأنها كانت معروفة من قبل الشعوب القديمة. على سبيل المثال، اصغ إلى كلمات الله إلى نوح في تكوين 7: 2:

مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةَ سَبْعَةً ذَكَراً وَأُنثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي
لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ ذَكَراً وَأُنثَى. (تكوين 7: 2)

أمر الله نوحاً، في هذه الفقرة، أن يميّز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة عندما أدخلها إلى الفلّك. لكن ليس لدينا سجل في أي مكان في الأسفار المقدسة، عن إعلان الله لنوح أية حيوانات كانت طاهرة وأيتها غير طاهرة. إن أفضل استنتاج نستمدّه، هو أن الله أعلن لنوح بشكل خاص أو لأي شخص آخر قبله، الفوارق بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة.

وبينما نستكشف البنى اللاهوتية التي ميّرت فترة من تاريخ العهد القديم، نحتاج أيضاً أن نكون مدركين للدلائل التي يمكن أن يكون الله قد أعطاها لإعلانات خاصة أخرى لا يوجد عندنا سجل لها. عندما ننتبه لهذه الأنواع من الإعلانات من خارج الكتاب المقدس، يمكننا أن نفهم البنى التركيبية المتناسكة للفترة التاريخية التي أمامنا بشكل أكمل.

بعد أن رأينا بعضاً من المصادر العديدة التي تساعدنا في فهم البنى اللاهوتية لفترة ما في العهد القديم، علينا أن ننقل إلى المستويات المختلفة للبنى اللاهوتية التي نقابلها.

المستويات المتنوعة

بينما ننظر إلى الترتيبات التركيبية المنطقية للاهوت العهد القديم في فترات محدّدة من التاريخ، يتضح بسرعة ظهور مستويات متنوعة للبنى اللاهوتية. وهي تشمل طيفا واسعا يمتد من بنى بسيطة جداً إلى بنى مُفصّلة جداً.

وحتى نرى كيف هذا، سننظر إلى ثلاث مستويات من البنى اللاهوتية. أولاً، سنشير انتباهاً إلى البنى اللاهوتية التركيبية ذات "المستوى الأساسي"؛ ثانياً، سننظر إلى مثال عن البنى اللاهوتية التركيبية ذات "المستوى المتوسط". وثالثاً، سنستكشف البنى اللاهوتية التركيبية "المعقدة" نسبياً. لنوجه انتباهنا أولاً إلى بعض الترتيبات المنطقية الأساسية التي ميّزت اللاهوت المعلن في فترات تاريخ العهد القديم.

الأساسي

تظهر أبسط البنى اللاهوتية في الروابط والمضامين المنطقية ضمن أعمال وكلمات محدّدة لله. ولكي نرى ما نقصده، سننظر في مسألتين. أولاً، سنستكشف بعض الطرق التي تتقاطع فيها

إعلانات العمل والكلمة الإلهية بشكل منطقي. وثانياً، سنوضح ما في ذهننا من خلال فقرة خاصة. لنفكر أولاً بأنواع التقاطعات المنطقية الموجودة بين الأعمال والكلمات الإلهية. هناك العديد من الطرق التي ترتبط فيها إعلانات الله المحددة ببعضها البعض. أولاً، غالباً ما تتقاطع أعمال الله مع كلماته.

كما رأينا في درسنا السابق، غالباً ما تسبق كلمات الله أعماله بشكل تنبؤات. وفي أحيان أخرى، حدثت كلمات الله تقريباً في وقت واحد مع أعماله وشرحت ما كان يقوم به. وفي أوقات أخرى، جاءت كلماته بعد أعماله وعكست معنى ما فعله الله في الماضي. في الوقت ذاته، ألقت أعمال الله الضوء على كلماته. على سبيل المثال، عندما عمِلَ الله قبل أن يتكلم، غالباً ما استبقت أعماله ما سيقوله عن طريق التحضير لكلمته الآتية. وعندما تصرف الله تقريباً في وقت واحد مع كلماته، غالباً ما أنارت أعماله معنى كلماته التفسيرية. وبالطبع، عندما تصرف الله بعد أن تكلم، فعل ذلك على الأغلب ليحقق كلماته السابقة.

لكن بالإضافة إلى ذلك، تظهر البنى اللاهوتية الأساسية في الطرق التي تتقاطع فيها أعمال الله مع أعماله الأخرى بشكل منطقي.

يظهر التماسك المنطقي، في هذه الحالات، في عدد من الطرق. وحتى نشير إلى بعض الاحتمالات: تم أحياناً إضافة عمل واحد لله، أو جمعه بعمل آخر؛ وفي أوقات أخرى، أُنذر عمل واحد قام به الله بعمل آخر فعله؛ وأعدت أعمال الله الإطار لأعمال إضافية؛ وأدت الأعمال الإلهية أحياناً لحدوث أعمال أخرى.

بالإضافة إلى هذا، تظهر البنى اللاهوتية الأساسية أيضاً، عندما نرى كيف تتقاطع إعلانات كلمة الله بشكل منطقي مع إعلانات أخرى للكلمة.

مرة أخرى، إن الارتباطات المحتملة لا تحصى. وحتى نشير إلى البعض فقط، فقد تتم إضافة كلمة واحدة إلى كلمة أخرى، قد تكون كلمة واحدة الأساس المنطقي لكلمة أخرى، أو يمكن أن تفسر كلمة واحدة كلمة أخرى.

أنشأت الطرق المتنوعة التي ارتبطت فيها أعمال الله وكلماته ببعضها البعض، العديد من الترتيبات المنطقية. كما وشكلت تقاطعات أعمال الله وكلماته المحددة شبكات معقدة ولا تحصى من المضامين المنطقية. وشكلت هذه المضامين بنى لاهوتية تركيبية أو معايير لاهوتية متماسكة أسسها الله في أوقات محددة في تاريخ العهد القديم.

بعد حفظ هذه الفكرة العامة في أذهاننا، سيساعدنا أن نوضح كيف تشكل تقاطعات الأعمال والكلمات الإلهية بنى لاهوتية متماسكة في فقرة معينة.

تأمل على سبيل المثال، جزءاً من قصة خلق حواء في تكوين 2: 15-22. حيث نقرأ هناك هذه الكلمات المألوفة:

وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا ... وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ. فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ البَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا ... وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ. فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنَ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ.

(التكوين 2: 15-22)

تأمل أولاً في بعض التقاطعات المنطقية بين أعمال الله وكلماته. حيث تبدأ الفقرة بالآية 15 مع الله وازعاً آدم في جنة عدن ليحفظها. وتقاطع هذا العمل مع كلمة الله في النصف الأول من الآية 18 عندما قال الله: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ". قد نفكر، للوهلة الأولى، أن حياة آدم في جنة عدن كانت رائعة، لكن عكست كلمة الله بعمله السابق وأشارت إلى أن وجود آدم في عزلة لم يكن جيداً.

بطريقة مشابهة، نرى أيضاً أن كلمات النصف الثاني من الآية 18 "فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ" تتبأت بعمل الله في تحقيق خلق المرأة في الآية 22.

وتُظهر هذه الارتباطات المنطقية بين أعمال الله وكلماته بنية لاهوتية بسيطة، أي مجموعة متماسكة من المعتقدات التي انبثقت من تلك الفترة في التاريخ. خلق الله البشر ليهتموا بجنته، لكن هذه المهمة تطلبت كلا الذكور والإناث.

وتقاطعت أعمال الله المتنوعة في هذه القصة أيضاً مع بعضها البعض، بطرق أظهرت بنى لاهوتية تركيبية. فقد سبق وكوّن الله الحيوانات كإعداد لآدم ليمارس سلطانه عليها بتسميتها في الآية 19. وتخبّرنا الآية 20 أن آدم لم يجد معيناً له بين الحيوانات، وهذا يفسّر جزئياً الهدف من تفاعل آدم مع الحيوانات. وأظهرت أعمال الله هذه معياراً لاهوتياً بسيطاً، أي طريقةً منطقيةً للنظر إلى هذه الأمور. عيّن الله أشخاصاً ليتسلطوا على الحيوانات، وليس ليجدوا معينين نظيرين لهم من بينها.

أخيراً، يمكننا أيضاً رؤية تقاطع منطقي بين كلمتي إعلان في الآية 18. فمن جهة، قال الله: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ". هذا التصريح هو السبب وراء قول الله، "فَأَصْنَعْ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ". ويظهر هذا الارتباط المنطقي وجهة النظر اللاهوتية المتماسكة بأن قرار الله بالنسبة للوجود المنعزل غير المقبول للإنسان، كان بخلق معينٍ نظير.

ويوضح هذا المثل البسيط ما نواجه مراراً وتكراراً في العهد القديم. حيث تظهر البنى اللاهوتية التركيبية، والمعايير اللاهوتية المتماسكة، من خلال تقاطعات الأعمال والكلمات الإلهية. يجب أن ننتقل الآن للبنى اللاهوتية ذات المستوى المتوسط والتي تميز فترات من تاريخ العهد القديم.

المتوسط

كثيراً ما تصبح أهمية أعمال وكلمات محدّدة من الله واضحة أكثر، عندما نعطي انتباهاً للبنى اللاهوتية التركيبية التي هي متوسطة أو معتدلة التعقيد. وكما رأينا للتو، لم تحدث أعمال وكلمات الله بمعزل عن بعضها البعض. وهذا ينطبق على مجموعات من أعماله وكلماته. إنها تتوافق مع بنى لاهوتية أخرى أكثر تعقيداً، تصف تلك الفترة.

هناك عدة أنواع من البنى التركيبية ذات المستوى المتوسط، لكن من أجل أهدافنا سنركّز على واحدة فقط: وهي العهود الإلهية. أولاً، سنصمم القوى المحركة للعهود، ثم سنوضح كيف تساعدنا هذه البنية المنطقية في فهم لاهوت فترة من التاريخ. تأمل أولاً في القوى المحركة للعهود. لقد كان معروفاً منذ وقت طويل أن إيمان إسرائيل العهد القديم كان عهدياً. ويتخلل مفهوم العهد الأسفار المقدسة. ورغم أن وجود أمور كثيرة يمكننا أن نقولها عن العهود، سننظر ببساطة إلى جانب واحد للعهود الإلهية في العهد القديم: كيف تساعدنا على فهم تماسك إعلانات إلهية محددة.

رغم أن لكل عهد في العهد القديم ميزات فريدة، فقد أظهر جميعها طريقة منطقية في فهم ثلاثة عناصر رئيسية: الإحسان الإلهي، الولاء البشري وعواقب بركات الطاعة ولعنات العصيان. وحكم العلاقة بين الله والبشر دائماً ارتباطات منطقية بين هذه العناصر الثلاثة. حيث أظهر الله إحسانه بالطرق التي بنى فيها علاقة مع الناس، وحفظهم في تلك العلاقة. ولكن استجابةً لذلك، كان متوّقاً من البشر أن يُظهروا الولاء لله بحفظ وصاياه. بالإضافة إلى ذلك، أسس كل عهد في العهد القديم عواقب: أي بركات لأولئك الذين يطيعون وصايا الله، ولعنات لأولئك الذين يعصونه.

مهم جداً أن ندرك أن هذه البنى المنطقية للعهد حكمت كل لحظة في تاريخ العهد القديم. فقد كوّنت، كما كانت هي، قالباً يساعدنا على رؤية التنظيم الضمني لكل إعلانات عمل الله وكلمته. حيث أظهرت إعلانات الله، في بعض الأحيان، إحسانه العهدي، أي لطفه نحو الشعب. وعبرت أعمال وكلمات إلهية أخرى عن توقع الله للولاء البشري، أي الطرق التي كان ينبغي أن يستجيب بها البشر مع إحساناته. وكثيراً ما لفتت الإعلانات الإلهية الانتباه إلى عواقب البركات واللعنات أيضاً. ويستند وعينا للبنية اللاهوتية في أي لحظة في العهد القديم إلى حد بعيد، على الطرق التي تتسجم فيها كل ميزة للإعلان الإلهي ضمن هذه البنى العهدية.

وحتى نوضح كيف تعمل هذه البنية التركيبية ذات المستوى المتوسط، دعونا ننظر مرة أخرى إلى مثال خلق حواء في تكوين 2.

وكما نعرف، حدث تكوين 2 خلال عهد الله الأولي مع آدم. وسنناقش فريدة هذا العهد في درسنا القادم. أما الآن، فنريد ببساطة ملاحظة بعض الطرق الواضحة التي تظهر فيها البنى المنطقية للإحسان الإلهي، والولاء البشري وعواقب البركات واللعنات في هذه الفقرة.

أولاً، أظهر الله إحساناً مدهشاً نحو آدم عندما وضع آدم في جنته في البداية في تكوين (2: 8). لكن لاحظ أيضاً أن الله أعطى آدم مسؤولية الولاء. كان على آدم أن "يعمل ويحفظ" الجنة. وتبدو البنى العهدية الكامنة وراء هذه الآية واضحة. حيث كان الله لطيفاً مع آدم، واستجابةً على ذلك، كان على آدم أن يعمل ويحفظ الجنة كخدمة ولاء لله.

ثانياً، أظهر الله في الآية 18 مزيداً من الإحسان نحو آدم عندما أقر بحالة آدم وقال إنه سيعطيه معيماً نظيراً له. ثم بدأ آدم في الآيتين 19 و 20 بإتمام مسؤولية الولاء من خلال تسمية الحيوانات، ورأى بحق أن ولا واحد من الحيوانات يمكن أن يكون نظيراً له.

ثالثاً، نرى في الآيتين 21 و 22 عواقب أمانة آدم في تسمية الحيوانات وعدم إيجاد معينٍ نظيرٍ له بين الحيوانات: بارك الله آدم بحواء، معينه النظير.

ولا يوجد في هذه المقطع، تهديد صريح بعواقب اللعنات الإلهية، لكن لو أن آدم فشل في إتمام مسؤوليته، لكان لدينا أسباب للاعتقاد أن الله لن يباركه بهذه الطرق. ويوضح هذا المثل البسيط كيف تساعدنا البنى التركيبية ذات المستوى المتوسط مثل العهود، على فهم إعلانات محدّدة لعمل الله وكلمته.

بعد أن بحثنا في هذه المستويات للبنى التركيبية، علينا أن نوجّه انتباهنا إلى البنى التركيبية ذات المستوى المعقّد.

المعقد

عندما نتحدث عن بنى لاهوتية معقدة، فإننا نفكر بأطر أو أنظمة لاهوتية بعيدة الأثر حيث تدمج العديد من البنى ذات المستويات الأساسية والمتوسطة، ثم تجمعها مع أفكار أخرى أيضاً. يوجد الكثير من الأنظمة اللاهوتية المعقدة في لاهوت العهد القديم، لكننا سنركز انتباهنا على واحد من أبرزها: أي ما سندعوه، لاهوت ملكوت الله.

يمكننا أن نقول الكثير عن هذا الموضوع، لكن سيكفينا في هذا الدرس ببساطة أن نلخص عقيدة ملكوت الله، ثم ننظر إلى مثال عن كيف تساعدنا لنرى البنى اللاهوتية لجزء من تاريخ العهد القديم.

تشير عقيدة ملكوت الله إلى خطة الله الشاملة لخليقته. حيث نجد من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، أن التاريخ يتحرك بثبات نحو هدف حصول الله على الإكرام والحمد من كل مخلوقاته، وذلك بتأسيس ملكه المجيد على الأرض، كما هو الآن في السماء. وتوضح كل الأسفار المقدسة أن الله عين صورته، أي البشر، ليخدموا هذه الغاية عن طريق إعداد الأرض لملكوته المجيد.

على الرغم من أن الله وضع صورته فقط ضمن حدود جنة عدن المقدسة أصلاً، يُدعى البشر باستمرار لتوسيع حدود جنة الله إلى أقصى الأرض عن طريق التكاثر وممارسة سيادتهم، في خدمة الله. كما نقرأ في تكوين 1: 28:

وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ أَنْمِرُوا وَاكْتَرُوا وَاَمْلَأُوا الْأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيْوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ. (تكوين 1: 28)

احتاج البشر، بعد السقوط في الخطيئة، للقداء والقوة من الله حتى يتمكنوا هذه المهمة. ومع ذلك، ما زال أولئك الذين افتداهم الله من الخطيئة، مدعويين لتوسيع ملكوت الله بنشر فدائه وحكمه في كل مكان.

للأسف، تُظهر الأسفار المقدسة، مراراً وتكراراً، أن شعب الله فشِلَ في مهمته، لكن الله لم يتخل عن خطة ملكوته. فقد تحققت خطته في النهاية عندما صار الأقبوس الثاني في الثالث بشرًا، عندما عاش حياة مقدسة تماماً، دفع ثمن خطايا شعب الله بالموت على الصليب، قام من بين الأموات، ونال مكافأته العادلة عندما صعد إلى السماء. ويملك يسوع الآن على الجميع من هناك،

وسوف يعود ثانيةً في المجد ليُجعل كل شيء جديداً. وعندما يعود المسيح، سيقضي على الشر في الأرض بالكامل، ويؤسس السماء الجديدة والأرض الجديدة. وستمتلئ الأرض عندها بـ صور الله المقدسة المفدية، وسينزل الله الأب ويملاً كل الأرض من مجده. كما نقرأ في رؤيا 21: 9-23:

ثُمَّ جَاءَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الْجَامَاتِ الْمَمْلُوءَةِ مِنْ السَّبْعِ الضَّرْبَاتِ الْأَخِيرَةِ وَتَكَلَّمَ مَعِيَ قَائِلاً هَلُمَّ فَأَرِيكَ الْعُرُوسَ امْرَأَةَ الْخُرُوفِ. وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَلٍ عَظِيمٍ عَالٍ وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَهَا مَجْدُ اللَّهِ... وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا لِأَنَّ الرَّبَّ اللَّهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هُوَ وَالْخُرُوفُ هَيْكُلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ قَدْ أَنْارَهَا وَالْخُرُوفُ سِرَاجُهَا. (رؤيا 21: 9-23)

قبل اكتمال كل شيء عند مجيء المسيح ثانيةً في المجد، دعا الله شعبه المفدي ليحملوا قضية نشر ملكوته. وكانت كل خطوة قام بها مؤمنو العهد القديم نحو هذه الغاية، خدمةً لخطة ملكوت الله العظيم.

تشكل هذه الرؤيا الكتابية لمجيء ملكوت الله على الأرض، بنية لاهوتية تركيبية شاملة، تساعدنا على فهم إعلانات الله في التاريخ. تكمن خطة ملكوت الله في خلفية كل شيء فعله وقاله في العهد القديم. وسيتمجد الله من خلال صورته وامتداد ملكه إلى كل الأرض. وتساعدنا هذه البنية اللاهوتية التركيبية على فهم التنظيم المنطقي لكل الإعلان الإلهي في العهد القديم.

وحتى نرى كيف يساعدنا هذا التنظيم اللاهوتي المعقد على فهم أقسام محدّدة من تاريخ العهد القديم بشكل أوضح، تأمل مرة أخرى مثال خلق حواء في تكوين 2.

سبق ورأينا أن الله فعل وقال عدة أمور تقاطعت منطقياً بطرق متنوعة. رأينا أيضاً أن الترتيب المنطقي لديناميكية العهد، تلفت الانتباه إلى حقيقة أن الله أظهر كثيراً من الإحسان نحو آدم، وأنه دعاه للولاء، أن آدم تم بعض مسؤولياته، وأن آدم تبارك من خلال خلق الله لحواء كمعينٍ نظيرٍ له. وبقدر ما تساعدنا هذه البنية اللاهوتية، ما زال أمامنا سؤال هام. لماذا فعل الله هذه الأمور؟ ما كان هدفه النهائي؟ الإجابة على هذه الأسئلة موجودة في لاهوت ملكوت الله.

وكما قلنا، في البداية في تكوين 1، أعطى الله دوراً مميزاً للبشر في عالمه. وكونهم صورته، دُعي البشر ليكونوا الأداة البارة التي ستنتشر بها جنة الله أو ملكوته في العالم. لكن لم يتمكن آدم من إتمام مهمة الملكوت بمفرده. فلا يستطيع رجل منعزل أن يتكاثر ويسود على كل الأرض. وهكذا،

بارك الله آدم أكثر، بمعين نظير يمكّنه من إتمام دوره في ملكوت الله. وبوجود حواء إلى جانب آدم، ستمكن صورة الله من التكاثر، والتقدم بأعداد كبيرة لتعدّ الأرض لمُلك الله المجيد. عندما ننظر إلى خلق حواء على خلفية هذه البنية اللاهوتية المعقّدة، يمكننا أن نرى حينها أن خلق حواء كان خطوة هامة في توجيه العالم كله نحو ملكوت الله.

وهكذا نرى أن فترات من تاريخ العهد القديم تعكس البنى اللاهوتية التركيبية على عدة مستويات. نلاحظ، على المستوى الأساسي، كيف أن أعمال الله وكلماته تتقاطع مع بعضها البعض. وبينما نوسع نظرتنا إلى المستوى المتوسط للبنى مثل العهود الإلهية، يمكننا أن نرى كيف أن مجموعات من إعلانات الله تتوافق ضمن منطقتي الترتيبات اللاهوتية الأوسع. وعندما نطبّق بنى تركيبية أوسع، مثل ملكوت الله، نجد أن تماسك الإعلان الإلهي يصبح أكثر وضوحاً.

الخاتمة

لقد استكشفنا في هذا الدرس كيف يشكّل اللاهوتيون الكتابيون تركيبات تزامنية من لاهوت العهد القديم. حيث أشرنا أن التركيب التزامني هو وصف لإعلانات عمل وكلمة الله خلال أزمنة محدّدة في تاريخ العهد القديم. نظرنا إلى الطرق التي يمكن أن نكتسب من خلالها المعلومات التاريخية من أنواع أدبية مختلفة في العهد القديم. ورأينا أيضاً كيف نميّز البنى اللاهوتية التركيبية لإعلانات الله على مستويات متنوعة خلال فترة من التاريخ.

إن تشكيل التركيبات التزامنية للاهوت العهد القديم، هو بعدّ أساسي لعلم اللاهوت الكتابي. وبينما نفهم ما أعلنه الله من خلال أعماله وكلماته في فترات محدّدة من تاريخ العهد القديم، سنكون مستعدين أكثر لاكتشاف الطريقة التي تطور بها اللاهوت في الكتاب المقدس بأكمله.

د. ريتشارد برات هو مؤسس ورئيس خدمات الألفية الثالثة. خدم كأستاذ العهد القديم بكلية اللاهوت المُصلح لأكثر من 20 سنة وكان رئيساً لقسم دراسات العهد القديم. كراعٍ مرتسم، يجوب د. برات العالم كارراً ومعلماً. حصل على درجة الماجستير في اللاهوت الرعوي من كلية يونيون للاهوت، كما حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة هارفارد. د. برات هو رئيس تحرير الكتاب المقدس الدراسي "روح الإصلاح" و مترجم لترجمة New Living للكتاب المقدس. كما كتب أعداداً ضخمة من المقالات والكتب، ممن بينها الصلاة بأعينٍ مفتوحة، مستأسرين كل فكر، مصممون للمجد، أعطانا الله قصصاً، تفسير سفري أخبار الأيام، وتفسير رسالتي كورنثوس.
